عرب الفقراء (عرب الشيخ محمد الحلو)

عرب الفقراء (عرب الشيخ محمد الحلو) المهجّرة – قضاء حيفا

عرب الفقراء تجمع فلسطيني مهجّر من قضاء حيفا، وتورده PalQuest أيضًا باسم «عرب الشيخ محمد الحلو». كان يقع على مسافة نحو 42 كيلومترًا جنوب غربي مدينة حيفا، على أرض رملية مستوية من السهل الساحلي الفلسطيني، بمتوسط ارتفاع يقارب 25 مترًا عن سطح البحر.

كان الموقع يقع إلى الجنوب من وادي المفجر وإلى الشمال الغربي من الخضيرة، قريبًا من طريق فرعية تصل إلى الطريق الساحلي العام. وكانت المنطقة المحيطة في العقود الأولى من القرن العشرين كثيرة المستنقعات، وانتشر فيها مرض الملاريا، وهو ما حدّ من نمو السكان قبل أعمال تجفيف المستنقعات والتغيرات الواسعة التي شهدتها المنطقة لاحقًا.

البيان	المعلومة
القضاء	حيفا
المسافة من حيفا	نحو 42 كم جنوب غربي حيفا
الارتفاع	نحو 25 م عن سطح البحر بحسب PalQuest
الموقع الطبيعي	بقعة رملية مستوية في السهل الساحلي، جنوب وادي المفجر وشمال غرب الخضيرة
السكان سنة 1944/1945	310 نسمات
تقدير السكان سنة 1948	360 نسمة – تقدير لاحق في فلسطين في الذاكرة، وليس تعدادًا رسميًا
فترة الاحتلال والتهجير	10 نيسان/أبريل 1948 بحسب فلسطين في الذاكرة، ضمن حملة إخلاء التجمعات الفلسطينية في القطاع الساحلي حول الخضيرة
السياق العسكري	حملة إخلاء القرى والتجمعات الفلسطينية في السهل الساحلي؛ «التنظيف الساحلي» تسمية مستخدمة في فلسطين في الذاكرة
الوحدة العسكرية	الهاغاناه في السياق الإقليمي؛ لا تتوافر تسمية موثقة للواء أو الكتيبة المنفذة على مستوى عرب الفقراء نفسها
إجمالي الأراضي	2,714 دونمًا
المستوطنات/العمران على الموقع	توسعت الخضيرة على موقع القرية؛ وتشغل أجزاء من أحيائها الشمالية الغربية، ومنها نفي حاييم، موضع عرب الفقراء

اسم عرب الفقراء والشيخ محمد الحلو

تسجل PalQuest القرية باسم «عرب الفقراء»، وتذكر أن من أسمائها الأخرى «عرب الشيخ محمد الحلو». إلا أن المصادر لا تتفق تمامًا على العلاقة الجغرافية بين الاسمين.

فمصطفى مراد الدباغ يصف «الشيخ حلو» بأنها قرية أو محطة نشأت حول مسجد الشيخ محمد الحلو، أحد رؤساء قبائل النفيعات، وكانت مكانًا يجتمع عنده في بعض الفصول بدو النفيعات وعرب الفقراء وجماعات من البدو التركمان.

وفي الوقت نفسه يميز الدباغ بين الموقعين، إذ يقول إن عرب الفقراء كانوا يقيمون جنوبي نهر المفجر وغربي الشيخ حلو. لذلك يمكن الحفاظ على «عرب الشيخ محمد الحلو» كاسم بديل متداول، مع التنبيه إلى أن الدباغ يقدم وصفًا مكانيًا أكثر تفصيلًا يميز بين عرب الفقراء ومحطة الشيخ حلو المجاورة.

أصل سكان عرب الفقراء

ينقل وليد الخالدي أن سكان عرب الفقراء كانوا يتحدرون من بعض بطون قبيلة البلاونة البدوية، التي كانت منطقتها الأصلية في جوار بئر السبع.

وعاشت الجماعة في المنطقة الساحلية المحيطة بوادي المفجر والخضيرة، في بيئة جمعت بين الرعي والزراعة الموسمية والاستقرار التدريجي في مساكن ومضارب ثابتة نسبيًا.

موقع عرب الفقراء قبل النكبة

كانت عرب الفقراء مبنية على أرض رملية مستوية من السهل الساحلي. وربطتها طريق فرعية بالطريق الساحلي العام من جهة الشرق، بينما كان وادي المفجر يقع إلى الشمال منها، والخضيرة إلى الجنوب الشرقي منها.

كانت المنطقة منخفضة ورطبة نسبيًا، وكثرت فيها المستنقعات قبل تجفيف أجزاء واسعة منها. وقد ساهم انتشار الملاريا في الحد من التوسع السكاني في هذه المنطقة حتى أواسط عشرينيات القرن العشرين.

ومع التوسع التدريجي للخضيرة تقلصت الأراضي المتاحة لسكان عرب الفقراء بصورة حادة، حتى لم يبق بحسب وصف وليد الخالدي سوى شريط ضيق من الأرض بين الخضيرة ووادي المفجر.

سكان عرب الفقراء

تحتاج بيانات السكان إلى التفريق بين الأرقام المستقلة وبين السنوات التي أُدرج فيها عرب الفقراء إحصائيًا ضمن الخضيرة.

السنة	عدد السكان	طبيعة الرقم وملاحظاته
1922	193 نسمة	رقم يورده مصطفى مراد الدباغ استنادًا إلى بيانات فترة الانتداب
1931	لا يتوافر رقم مستقل	أُدرج عرب الفقراء ضمن الخضيرة في تعداد 1931؛ لذلك لا يصح استخراج رقم الخضيرة كله واعتباره عدد سكان عرب الفقراء
1944/1945	310 نسمات	إحصاءات رسمية مستقلة؛ جميع السكان مصنفون عربًا
1948	360 نسمة	تقدير لاحق منشور في فلسطين في الذاكرة، وليس تعدادًا رسميًا
1998	2,208 لاجئين	تقدير لاحق للاجئين وذريتهم، وليس تعدادًا رسميًا لسكان القرية

عدد البيوت

لا تقدم المصادر الأساسية المستخدمة رقمًا مستقلاً وموثوقًا لعدد بيوت عرب الفقراء في تعداد 1931 أو تقديرًا موثوقًا لعددها سنة 1948. وبما أن السكان كانوا قد أُدرجوا ضمن الخضيرة في تعداد 1931، فلا يجوز اشتقاق عدد بيوت خاص بعرب الفقراء من بيانات الخضيرة العامة.

ملكية أراضي عرب الفقراء

بلغ إجمالي مساحة وحدة أراضي عرب الفقراء في إحصاءات 1944/1945 نحو 2,714 دونمًا. وكانت الغالبية الساحقة من هذه الأراضي قد انتقلت إلى الملكية اليهودية قبل النكبة.

ويعرض «فلسطين في الذاكرة» جدول الملكية المبسط بالمصطلحات التالية:

المجموع	2,714
نوع الملكية	**المساحة بالدونم**
فلسطيني	15
تسرّبت للصهاينة	2,513
مشاع	186

أما الجدول الرسمي فيستخدم الفئات: عرب / يهود / عام، ويعطي 15 دونمًا عربيًا، و2,513 دونمًا يهوديًا، و186 دونمًا عامًا.

ويذكر مصطفى مراد الدباغ أن عرب الفقراء «لم يبق لهم سوى 201 دونم»، وهو رقم يساوي حسابيًا 15 دونمًا عربيًا إضافة إلى 186 دونمًا عامًا. لذلك لا ينبغي تحويل رقم 201 إلى ملكية فلسطينية خاصة؛ فالجدول الرسمي يفصل بوضوح بين الملكية العربية والأرض العامة.

استخدام الأراضي سنة 1944/1945

المجموع	15	2,513	186	2,714
نوع الاستخدام	**عرب**	**يهود**	**عام**	**المجموع**
الحبوب	0	900	0	900
البساتين والأراضي المروية	0	25	0	25

المجموع	15	2,513	186	2,714
نوع الاستخدام	عرب	يهود	عام	المجموع
الحمضيات والموز	0	575	0	575
الأرض المبنية	0	243	0	243
غير الصالحة للزراعة	15	770	186	971

يتوازن الجدول حسابيًا إلى إجمالي 2,714 دونمًا. وكانت 1,500 دونم مصنفة مزروعة أو صالحة للزراعة، وجميعها ضمن الفئة اليهودية في جدول الملكية والاستعمال الرسمي، بينما كانت الـ15 دونمًا العربية مصنفة غير صالحة للزراعة.

أما «فلسطين في الذاكرة» فيعرض 201 دونم في خانة «البور» الفلسطينية؛ والصحيح عند الحفاظ على الفئات الرسمية هو فصلها إلى 15 دونمًا عربيًا و186 دونمًا عامًا.

الحياة الاقتصادية في عرب الفقراء

كان النشاط الاقتصادي الأساسي لأهالي عرب الفقراء تربية المواشي، وهو نشاط يتفق مع أصول الجماعة البدوية. كما عمل السكان في الزراعة إلى جانب الرعي.

ويذكر مصطفى مراد الدباغ بصورة خاصة زراعة البطيخ والذرة. ولا ينبغي فهم هذا النشاط الزراعي على أنه دليل على امتلاك السكان مساحات واسعة من الأرض سنة 1945؛ فقد كان من الممكن ممارسة الزراعة عن طريق الانتفاع أو الإجارة أو العمل في أرض ليست مسجلة ملكيتها باسم المزارع.

الخدمات والتعليم

يذكر مصطفى مراد الدباغ أن الخدمات العامة لم تكن متوافرة لسكان عرب الفقراء والنفيعات في المنطقة. ولا تقدم المصادر الأساسية المستخدمة في هذا المقال معلومات موثقة عن مدرسة مستقلة في عرب الفقراء أو عن سنة تأسيس مدرسة وعدد طلابها.

لذلك لا يضاف إلى المقال رقم مدرسة أو عدد طلاب أو مؤسسة صحية من دون توثيق مستقل.

مسجد الشيخ محمد الحلو

ترتبط تسمية «الشيخ حلو» بالشيخ محمد الحلو، الذي يصفه مصطفى مراد الدباغ بأنه أحد رؤساء قبائل النفيعات. ونشأ تجمع الشيخ حلو حول مسجد يحمل اسمه، وكان بدو النفيعات وعرب الفقراء والبدو التركمان يتجمعون عنده

في بعض الفصول.

لكن الدباغ يضع عرب الفقراء نفسها غرب الشيخ حلو، ولذلك لا يصح اعتبار كل ما يورده عن مسجد ومحطة الشيخ حلو وصفًا مؤكدًا للمركز العمراني لعرب الفقراء من دون الإشارة إلى هذا التمييز المكاني.

تهجير عرب الفقراء سنة 1948

يعطي «فلسطين في الذاكرة» تاريخ 10 نيسان/أبريل 1948 لتهجير عرب الفقراء، ويصف سبب النزوح بأنه طرد السكان بواسطة القوات الصهيونية.

ويتفق هذا التاريخ مع التسلسل الإقليمي للقرى العربية المجاورة للخضيرة ووادي المفجر. فتوثق PalQuest أن الهاغاناه أمرت سكان عرب النفيعات بمغادرة قريتهم في 10 نيسان/أبريل 1948، كما تعرض المصادر التاريخية المرتبطة بالمنطقة عرب الفقراء وعرب ظهرة الضميري ضمن موجة التهجير نفسها.

ولا يقدم مدخل عرب الفقراء في PalQuest نفسه رواية عسكرية تفصيلية مستقلة، ولذلك يجب عدم إضافة اسم لواء أو كتيبة أو تفاصيل ميدانية لا يوفرها المصدر.

تسلسل الاحتلال والتهجير

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
تزايد الضغط على التجمعات الفلسطينية الساحلية	ربيع 1948	تعرضت التجمعات الفلسطينية الصغيرة المحيطة بالخضيرة ووادي المفجر لضغط عسكري متزايد ضمن حملة إخلاء المنطقة الساحلية.
طرد/تهجير سكان عرب الفقراء	10 نيسان/أبريل 1948	يحدد فلسطين في الذاكرة هذا اليوم، وتدعمه زمنيًا أحداث عرب النفيعات المجاورة التي أمرت الهاغاناه سكانها بالمغادرة في اليوم نفسه.
خلو الموقع من سكانه الفلسطينيين	بعد 10 نيسان/أبريل 1948	أصبحت عرب الفقراء من التجمعات الفلسطينية المهجّرة في المنطقة الساحلية المحيطة بالخضيرة.
تدمير العمران	بعد التهجير؛ التاريخ الدقيق غير موثق	لا تقدم المصادر الأساسية يومًا محددًا لهدم مباني التجمع؛ ويشير الوصف اللاحق إلى اختفاء معالمه العمرانية.

العملية العسكرية والوحدة المنفذة

السياق العسكري: حملة إخلاء التجمعات الفلسطينية في القطاع الساحلي المحيط بالخضيرة ووادي المفجر.
ويستخدم «فلسطين في الذاكرة» تسمية «التنظيف الساحلي»، لكن لا تتوافر في المصادر الأساسية المستخدمة هنا

أدلة كافية للتعامل معها كاسم عملية عسكرية مستقلة ومحددة خاصة بعرب الفقراء.

الوحدة العسكرية: تشير وقائع المنطقة في 10 نيسان/أبريل إلى الهاغاناه، إذ يوثق PalQuest أمرها لسكان عرب النفيعات المجاورين بالمغادرة. ومع ذلك، لا يقدم المدخل الخاص بعرب الفقراء اسم لواء أو كتيبة بعينها نفذت طرد سكانها؛ لذلك لا يُذكر اسم وحدة أكثر تحديدًا.

سبب النزوح والتهجير

يصنف «فلسطين في الذاكرة» سبب النزوح بأنه طرد السكان بواسطة القوات الصهيونية. ويؤيد السياق الإقليمي وقوع تهجير مباشر للتجمعات العربية المحيطة بالخضيرة في الفترة نفسها.

وبناءً على ذلك، يمكن وصف ما جرى لعرب الفقراء بأنه تهجير كامل للسكان في سياق العمليات العسكرية وحملة إخلاء المنطقة الساحلية في نيسان/أبريل 1948، مع تجنب إضافة تفاصيل غير موثقة عن كيفية تنفيذ الطرد على مستوى كل منزل أو عائلة.

تدمير عرب الفقراء

لا تقدم المصادر الأساسية تاريخًا محددًا لتدمير مباني عرب الفقراء. لكن وليد الخالدي يصف الموقع لاحقًا بأنه خالٍ من معالم القرية، ما يدل على اختفاء عمرانها الفلسطيني.

وتوجد في «فلسطين في الذاكرة» صورة معنونة على أنها لمنزل باقٍ سنة 1987، وهو ما لا يتفق تمامًا مع الوصف النصي الذي يقول إن المعالم اختفت. لذلك لا يُستخدم تعليق الصورة وحده لإثبات بقاء منزل في ذلك التاريخ من دون توثيق إضافي.

الخضيرة ونفي حاييم على موقع عرب الفقراء

لا يذكر وليد الخالدي مستعمرة جديدة منفصلة أُنشئت بعد 1948 على أراضي عرب الفقراء. وإنما امتدت الأحياء الشمالية الغربية من الخضيرة القائمة إلى داخل موقع القرية.

ومن هذه الأحياء ضاحية **نفي حاييم (Newe Chayyim)**، التي أصبحت تشغل جزءًا من الموقع. وكانت الخضيرة نفسها قد أُنشئت سنة 1890 قبل النكبة، ثم أدى توسعها التدريجي قبل 1948 وبعده إلى تغيير المجال المحيط بعرب الفقراء بصورة جذرية.

عرب الفقراء اليوم

بحسب الوصف الميداني الذي أورده وليد الخالدي قبل نشر كتاب كي *لا ننسى / All That Remains* سنة 1992، لم يكن قد بقي من معالم عرب الفقراء أثر واضح، وكانت أشجار الكينا تنمو في موقع القرية.

كما أصبحت أجزاء من الموقع ضمن الامتداد العمراني الشمالي الغربي للخضيرة، ومنها منطقة نفي حاييم.

هذا الوصف تاريخي ويرجع إلى التوثيق الميداني السابق لنشر الكتاب سنة 1992، ولا يمثل تحققًا ميدانيًا مباشرًا لحالة الموقع في سنة 2026. كما أن بعض المواد المجتمعية والصور المنشورة لاحقًا في «فلسطين في الذاكرة» تحتاج إلى التعامل معها بوصفها توثيقًا مجتمعيًا، لا مسحًا ميدانيًا مستقلاً وشاملًا.

المصادر

- PalQuest – الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية: عرب الفقراء
- فلسطين في الذاكرة – عرب الفقراء (الشيخ حلو)، قضاء حيفا
- فلسطين في الذاكرة – نبذة عرب الفقراء من كتاب كي لا ننسى لوليد الخالدي
- فلسطين في الذاكرة – الشيخ حلو وعرب الفقراء كما وردا في بلادنا فلسطين لمصطفى مراد الدباغ
- PalQuest – عرب النفيعات: السياق الإقليمي للتهجير في 10 نيسان/أبريل 1948
- حكومة فلسطين – تعداد فلسطين الرسمي لسنة 1922
- حكومة فلسطين – تعداد فلسطين الرسمي لسنة 1931، E. Mills
- سامي هداوي – Village Statistics 1945، اعتمادًا على إحصاءات حكومة فلسطين
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية – وليد الخالدي، كي لا ننسى / All That Remains